اشراقة على الدور الحضاري والثقافي للمرأة العربية في عصر صدر الاسلام

د. زاهدة الصالحي
استاذة التاريخ الأسلامي المساعدة
كلية الأداب ـ قسم التاريخ
جامعة بغداد

اشراقة على الدور الحضاري والثقافي للمرأة العربية في عصر صدر الاسلام

د. زاهدة الصالحي
استاذة التاريخ الأسلامي المساعدة
كلية الأداب ـ قسم التاريخ
جامعة بغداد

مكانة المرأة قبل الأسلام

المقدمة :

كان للمرأة العربية حضور ومشاركة في مختلف مناحي الحياة في عصر قبل الاسلام ، بحيث كانت موضع شرف العرب وفخره، فهي الام والاخت، والزوجة ، والحبيبة ، والشاعرة ، والحكيمة ، وقد تمثلت هذه الصورة للمرأة ومكانتها بحيث صعدت مشاعر الفرسان واذكت بطولاتهم وصورها في شعرهم وعلى مختلف اتجاهاته سواء كان في ميادين المعارك او في بيئته الفنية بجمالها الطبيعي الذي دفع الشعراء الى تصوير جمالها بشعرهم العاطفي. ومن هنا كانت المرأة باعثاً قوياً من بواعث الفروسية ومنطلقاً واسعاً من منطلقاتها الرحبة ومجالا فسيحاً يظهر فيه الفرسان بطولاتهم النادرة وقد اهلتها هذه الاهمية لان تكون في مكانة رفيعة ومنزلة عالية لان الدفاع عنها بطولة وشجاعة ، والموت في سبيلها مفخرة (١) وقد تمتعت المرأة باحترام الرجل فهي لاتزوج الا بعد اخذ موافقتها وكان الرجل حين يرغب في تزويج ولده يبحث عن الحسب والنسب لتلك التي سوف تكون اماً لاولاد ابنه فعندما اراد عبد المطلب تزويج ولده عبدالله فلم يجد له قريناً الا بنت وهب ، ذهب الى ذويها لينال شرف المصاهرة ونستطيع أن نتلمس مكانة المرأة العربية في العصر الذي سبق ظهور الاسلام انه كان لها حق التملك، وخير مثال على ذلك السيدة خديجة بنت خويلد التي اصبحت فيما بعد اول امهات المؤمنين- التي كانت تاجرة تستأجر الرجال في تجارتها ، كما كانت تسمى الطاهرة وهي من ارفع نساء قريش نسباً وحسباً ومن المعارف التي كانت مهمة عند

(١) القيسي / نوري حمودي / الفروسية في الشعر الجاهلي ط / بغداد ١٩٦٤ ص٥٧-٨٠

العرب قبل الاسلام تلك التي تهتم بالاخبار والانساب والفراسة والشعر، وهكذا نرى حضور المرأة في هذا الميدان واسعاً رحباً والقصة التالية خير مثال على ذلك .

وافت جمعة بنت حابس وهند ابنة الخس سوق عكاظ فأجتمعتا : فسؤ اتا أي الرجال أحب ؟ قالت جمعة : احب الحر النجيب ، السري القريب ، السمح الحسيب ، الفطن الاريب ، المصقع الخطيب ، الشجاع المهيب ، فأجانتها هند : وصفت رجلاً سيداً جواداً ، نهض الى الخير صاعداً ، ويسرك غائباً وشاهداً (١) .

وقد بلغت المرأة من الموضوعيه بحيث برزت في ميادين عديدة اخرى كميدان الطب والجراحة فهي توامي الجرحى في اثناء المعارك لما تميزت به من الرقة والعذوبة والانسانية ولما وهبها الله من حكمة ودراية وعاطفة فهي تترجم هذه العناية الآلية في تضميد الجرحى والاهتمام بهم وعلى الرغم من ان الامية كانت تسود المجتمع العربي في مكة الا ان هناك نساء كنَّ يتقنَّ القراءة والكتابة امثال : فاطمة بنت مر الخثعمية ، والشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس القرشية (٢) .

المحور الاول : مكانة المرأة في عصر الرسول (ص) :

كان الاسلام الاثر البالغ في اعلاء دور المرأة العربية بما حمله من معان الاصلاح والتقدم والعدل الاجتماعي والمساواة ، بحيث تركزت اهميتها واتسعت آفاق معرفتها وتجلت مقدرتها واضحة في تربية النشىء لاجيال العرب المسلمين وبهذا فأن المرأة العربية حافظت على هذه المكانة السامية واخرجتها من حيز النظرية وترجمتها للواقع الملموس والمحسوس وكان حصيلة التقاء كل ذلك انشاء مجتمع عربي يقوم اساسه على الثقافة الاصيلة وبذلك كان تقدمه واضحاً وبرز دوره الحضاري الموضوعي وقد وصف القرآن الكريم المرأة

(١) البرقوقي/ عبد الرحمن / دول النساء ص٣٠١– ٢/ القاهرة بلا

(٢) ابن حجر / تهذيب التهذيب/ ١ :٤٢٨

بالرقة والوداعة ومثل دورها ووضحه بأنه سكن للرجل ، فهي ملاذه ومصدر طمأنينته حين قال عزّ من قال ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون// (١)

كذلك أكد سبحانه تعالى ، على دور المرأة واهميته للرجل حين صور خلقها معه من نفس واحدة ، ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء....) (٢) وفي اللغة العربية جاء تعريف المرأة بأنها كلمة لانثى المرء / الذي هو الرجل وكما يقال للرجل : انسان كذلك يقال للمرأة انسانة وذكر العرب في شعرهم هذا الوصف : انسانة الحيّ ام ادمانة السمّر . بالنهي رقصها لحن من الوتر (٣) فيتطابق في هذا المعنى أن المرأة نظيرة للرجل وقد برز دور المرأة وتأثيره في التاريخ العربي الاسلامي وكانت السيدة خديجة بنت خويلد (٤) بن اسد بن عبد العزي بن قصي القرشية الاسدية من قريش القبيلة التي كانت لها السيادة في مكة والتي تمتاز بالمنزلة الرفيعة والقوة ، والى جانبها بنوامية وبنو مخزوم كذلك من القبائل التي لها السيادة في مكة في حين انحدر(محمد) (ص) من قبيلة بني هاشم ، ونشأ وترعرع يتيماً من الاب وفي يوم كان مع السيدة والدته في زيارة قبر والده بين مكة ويثرب حينما داهمها الموت وبذلك فقد الحنان والسند ، وبقي تحت رعاية جده وسرعان ماجبرته الاقدار أن يكون في حضن عمه ابي طالب الذي لم يكن ميسور الحال ولكنه كان قوياً وذا كلمة عليا في مكة والذي استمرت حمايته له حتى السنوات الاولى من مبعثه

---

(١) سورة الروم / آية ٢١

(٢) سورة النساء/ اية ١

(٣) البرقوقي / دولة النساء/ ٣٠١

(٤) امها فاطمة بنت زائدة، بن جندب، «وهو الأصم» المصعب الزيدي/ نسب قريش حـ ٧ ص ٢٣٠/ط٢/القاهرة / ١٩٧٦

(ص) أن مستقبل الجزيرة العربية فيما بعد كان الى النبي محمد (ص) الذي جاء من قبيلة بني هاشم بن عبد مناف بن قصي (١)

أن المرأة التي وقفت بجانب النبي العربي الكريم / زوجته الطاهرة خديجة بنت خويلد ، التي كان لها اكبر الاثر في تحقيق الاستقرار الاقتصادي الذي له الفضل في تبلور شخصيته (ص) بحيث كان يخرج من مكة ويذهب بعيداً يتعمق في تحقيق ذاته وما آلت اليه شخصيته فعرفه الجميع بأنه الصادق الامين والسيد المطاع . ولما جاءه الوحي ، صدقته واستمرت في اخلاصها له وسارت جنباً الى جنب معه في اثبات الطريق الذي خططه له سبحانه وتعالى وكانت الزوجة الحبيبة ، الصادقة . المتحمسة له ، صدقته وإمنت به والتي كانت تمثل الحماية له من الناحية الاقتصادية في حياته الخاصة بحيث وجد نفسه ، وتبينت لهمعالم الطريق الذي سار به وكان يتمكن من ترك عائلته ويذهب بعيداً عنها ليتفرغ مع نفسه خارج مكة ، ولما تهيأ نفسياً وجاءه الوحي وكان النبي المنتظر كل ذلك بسبب وجود السيدة الفاضلة التي ساندته وأيدته وكان لهذا الاستقرار الاقتصادي والتأييد المطلق والمصداقية كل الاثر في تعزيز الاسلام ذلك الدين الذي لم يكن لجماعة معينة من البشر دون الآخرين كما جاء في قوله تعالى (وارسلناك للناس روسولا (٢) وكان رحمة للعالمين . وأكد سبحانه وتعالى بأن الدين السماوي لم يكن للعرب وحدهم بل هي رسالة انسانية، شرف الله بها العرب بأن انتخب خاتم الانبياء محمد (ص) منهم وأصبحوا هم حملة هذه الرسالة الانسانية للناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٣) فالسيدة خديجة كانت اول امرأة اسلمت على يديه (ص) ولمواقفها (رض) العظيمة تجاه الرسول (ص) والاسلام ذكرها (ص)من بين اربعة نساء اللاتي يوصفهن

(١) الزبيدي/ نسب/ ج ١: ١٤
(٢) سورة النساء: اية ٧٩
(٣) سورة الأنبياء: اية ١٠٧

(ص) بأنهن خيار نساء العالمين ، وهي على التوالي مريم بنت عمران ، وابنة مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة النبي (١) واكراماً لهذه السيدة العظيمة ولمصداقيتها كان الرسول (ص) قد قابل هذه المصداقية بأنه لم يتزوج مادامت على قيد الحياة ورزق منها جميع اولاده ماعدا ابراهيم (٢) ولما توفيت (رض) حزن عليها حزناً شديداً ودخل في قبرها حين حانت ساعة الدفن وكان ذلك في رمضان لثلاث سنين قبل الهجرة وقيل اربعة سنين المصادف السنة العاشرة من البعثة (٣) . كان ابو بكر الصديق رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً وكان انسب قريش لقريش واعلمهم ، تاجراً ذا خلق عظيم ،معروف لدى قومه ، وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته اول من اسلم من الرجال وكان احب الناس الى النبي (ص) صديقه وخليصه ومناقب ابو بكر (رض) كثيره ويكفي قوله تعالى ، ((الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن أن الله معنا)) (٤) آمن بالرسول (ص) ومنذ ايام زوجته السيدة خديجة ورافق الرسول في مختلف ادوار حياته اذ كان (ص) اكبر منة بسنتين واربعة اشهر وعشرين يوماً وعاش مع رسول (ص) في محله واحدة من مدينة مكة وفي سنة ٦١٤م ولدت له ابنة اسماها عائشة وعلى هذا الاساس لم تتذكر السيدة عائشة (رض) ايام كان والداها غير مسلمين (٥) ولما نشأت وجدت

---

(١) ابي حجر/ اصابة ٢٨١٤

(٢) امه مايا القبطية

(٣) ابي حجر / اصابة/ ٤ : ٢٨٣/في نفس السنة لوفاتها (رض) توفى عمه ابو طالب وبذا قد فقد الرسول(ص) شخصين من اهم واحب على نفسه (ص)

(٤) سورة التوبة/ اية ٤٠

(٥) امها : ام رومان بنت عمرو بن دهمان بن الحارث من كنانه / ابن سعد الطبقات الكبير / ٣٩/٨/ وقيل ولدت عائشة بعد المبعث بخمس سنين / ابن حجر / اصابة /٤ : ٤٥٠

أن محمد (ص) يزور بيتها صباحاً ومساءً وهناك قصة تروى : هو انه يوماً من الايام وبينما كان (ص) يزور عائلة أخيه ((ابو بكر)) رأى الفتاة تبكي فمسح بيده الكريمة الدمعة التي سالت على خدها، ولكنه (ص) التفت الى امها ام رومان يسألها عن سبب بكاء الصبية ، اجابته السيدة والدتها ان اباها قد نفذ صبره معها . ولكن (ص) اجابها بأن يكونوا معها لطفاء لاجل خاطره هو. وهكذا سارت هذه المؤثرات : الصداقة والاخوة والصحبة متزامنة مع اقتراح السيدة الفاضلة خوله بنت حكيم والتي كانت ترعى اولاده (ص) بعد وفاة ام المؤمنين السيدة خديجة فأقترحت عليه (ص) أن يتزوج من ابنة ابي بكر (رض) او من السيدة الناضجة التي آمنت به واتبعته وهي السيدة سوده بنت زمعة وعلى هذا الاساس خرجت السيدة خولة لتوها الى دار ابي بكر (رض) لتكمله مادار بينهما . فكانت في الدار السيدة ام رومان والدة الفتاة التي اظهرت عدم ممانعتها وأن الامر متروك لوالدها وعلى مايبد وكان أبو بكر (رض) غير متأكد من أن زواج محمد (ص) من ابنته عائشة (رض) حلال لان الرسول (ص) يدعوه اخي فيما جاء هذا الاستفسار للرسول (ص) وسمع جواب ابو بكر (رض) من خولة قال لها ارجعي وقولي له انه اخي في الاسلام وان ابنته حــــلال علي وهنا برز سبب آخر وقف بوجه ابي بكر الا وهو أن الفتاة كانت ــ وكعادة اهل مكة ــ ان تسمى لاحد اقربائها وكانت عائشة قد سميت الى جبير بن مطعم بن عدي.. فذهب ابو بكر (رض) الى ام جبير التي عارضت أن تحل ابنة ابي بكر من العهد الذي قطع الى ابنها ولكن الفتى حين سمع من ابي بكر (رض) بما جاء اليه اخرجه من عهده السابق . وعليه وفي سنة ٦١٩م كان محمد (ص) قد عقد على سودة (رض) وبنى فيها وعقد على عائشة (رض) ولم يبن بها الا بعد هجرته الى المدينة (ص) وبفترة ليست (١) قصيرة فأدركت الفتاة بواقع غريزة المرأة انها زوجت

---

(١) ابن عبد البر/ الأستيعاب من معرفة الأصحاب ٤٦٣/٤ : ٤٥٢ بغداد ١٣٢٨ هـ

ومنعت من اللعب في الخارج وحفظت في داخل الدار الا انها لم تكن تعرف وما هو شعورها حينما ادركت انها تزوجت من رسول الله (ص) (١) لم يسجل المؤرخون الاوائل شيئاً عن دور السيدة عائشة (رض) في هذه الفترة الحرجة التي مر بها المسلمون في مكة ولكن كان لاختها من ابيها السيدة اسماء (ذات النطاقين) دور بارز خدم الاسلام والمسلمين في شخصية الرسول (ص) وابيها ، ولكن المهم من كل هذا كان الرسول (ص) قد اشتد عليه المشركون في مكة وبلغ بهم أن فكروا بجدية في قتله ،ولكن شاء الله أن امره بالهجرة سنة ٦٢٢م التي عـــزت الاســلام ومنها بدأ كيانه السياسي وذلك لتوضيح شخصية وعبقرية الرسول (ص) ليست الدينية وحسب وانمـا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحربية وبهذا ولما كانت يثرب ـ مدينة رسول الله فيما بعد ـ العالم الجديد للرسول (ص) وللمسلمين وما يجب أن يعمل في محيط وبيئة . ولما انتهى من التطورات التي عززت نشاطه الديني المنتظم لرسالته السماوية هذا النجاح انعكست آثاره في السيدة الصغيرة التي اصبحت زوجته وام المؤمنين والاثيرة لديه لما تمتاز به من احترام اجتماعي ومرح الشباب والجاذبية الناضجة ، ولكل هذه الاسباب فقد استقرت حياة الرسول (ص) عندما وصلت اليه من مكة الى مدينته في شوال من السنة الاولى (٢) من الهجرة وقيل بعد ثماني اشهر من مهاجرته (ص) وقيل في شوال من السنة الثانية من الهجرة (٣) .

كان الرسول (ص) وهو في قمة نجاحه يتذكر السيدة خديجة (رض) ويتذكر مواقفها ايام الشدة وفي يوم وبينما كان يتذكرها اعترضته السيدة عائشة (رض) بدافع شعور المرأة وقالت له(أن الله سبحانه وتعالى ابدلك بأحسن منها وهي انا) ولكنه (ص) اجابها بحق الله لم يعوضني بأحسن منها،

---

(١) نفسه

(٢) ابن حجر / الطبقات الكبيرة/ ٨/ ٣٩

(٣) الطبري/ ابو جعفر محمد بن جرير/ تأريخ الرسل والملوك/ ٢

هي آمنت بي عندما الناس رفضوني ، وادعوا بأنني كاذب ، صدقتني ، ولما كنت فقيراً شاركتني بأموالها ، والله اهداني جميع اولادي منها فقط (١) وهنا تقول السيدة عائشة (رض) أنه من يومها لم أعد أذكرها لامن قريب ولامن بعيد شعر محمد (ص) بأن مرضته الاخيرة ستؤدي به الى المـــوت فأستأذن ازواجه جميعاً بأن يبقى في دار السيدة عائشة (رض) وهكذا كانت ايامه الاخيرة (ص) بين يديها ترعاه وتواسيه تخفف عليه ماكان قد الم به (ص) وقضى تلك الايام العصيبة في دارها ولما اسلم روحه الى خالقها (ص) كان بين يديها ، كل هذا يجري بغرفة ام المؤمنين عائشة (رض) ومعها المسلمون حيارى وقد اصابتهم الفجيعة بوفاة سيد المرسلين وافقدتهم توازنهم واصبحوا حيارى في أي مكان يدفن (ص) وبينما هم على ذلك قطع حبل تفكيرهم ابو بكر (رض) عندما قال انه سمع يوماً رسول الله (ص) أنه يدفن في المكان المتوفي فيه وعليه فأنه سوف يدفن في غرفة السيدة عائشة (رض) وهو مثواه الاخير في المدينة وفي مسجده الذي اسسه وهو المقر الاول للدولة العربية الاسلامية التي اسسها (ص) والذي اصبح ثاني الحرمين والمكان المقدس للمسلمين بعد الكعبة دار الاسلام الاول الذي بناه جده النبي ابراهيم (ع) وكان دفنه (ص) في ربيع الاول من السنة ١١هـ/ حزيران ٦٣٢م (٢)

ثانيا: — جهود السيدة عائشة (رض) في سبيل تعزيز الأسلام .

لما توفي الرسول (ص) عظمت المصيبة على المسلمين بحيث ظن الناس الوهن بالاسلام والمسلمين وارتدت بعض قبائل العرب واشرأبت اليهوديـــة والنصرانية حتى جمعهم الله في ابي بكر الصديق (رض) الذي اصبح اول خليفة لرسول الله في جميع اعماله وفعالياته ماعدا النبوة وهكذا كان ابو بكر (رض) نصيراً للاسلام والمسلمين مااختلفوا في امر الا كان ابو بكر

(١) مسند ابن حنبل/ جزء ح :ص١١٧
(٢) وفيما بعد دخل ابو بكر وعمر معه في نفس المكان وضم الى المسجد

(رض) قد وجد حلاً له. فوقفت ام المؤمنين (رض) بجانب والدها بشجاعة، مؤازرة ومؤيدة ومساندة له وكان لجهودها (رض) الدور الكبير في تعزيز الاسلام ونقائه حيث اورد ابن حزم (أن نساء النبي افضل الصحابه بعد النبي (ص) وانهن لهن المكانة الاولى بعده من حيث التفضيل (٢٣) وهي التـــي برزت مكانتها خلال حياة الرسول وبعد وفاته (ص) ومن هنا تتوضح لنا مكانتها (رض) وتفردت بهذه المكانة الجليلة لذكائها وفطنتها وحبها للسؤال فقد كانت تسأل الرسول (ص) وتناقشه في بعض المسائل التي قد تخفى عليها (٢٤) . آن التعظيم للنبي (ص) فرض واجب علينا ، يقول الله سبحانه في محكم كتابه العزيز : النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم (٢٥) فأوجب الله تعالى لهن حكم الامومة ، على كل مسلم هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة لرسول الله ولقد خيرهن الله تعالى بين الدنيا وبين دار الآخرة والله ورسوله فأخترن الله ورسوله (ص) وكانت ام المؤمنين عائشة (رض) تعد من الرواة الثقات ، ومن الستة الذين هم اكثر الصحابة علماً اذ بلغ ماروى عنها الفين ومائتين وعشرة احاديث وحدثت عن الرسول وكذلك عن ابيها وعمر ، وفاطمة ، وسعد بن ابي وقاص (رض) وغيرهم.. وتتضح لنا مكانتها ومقدار علمها وافادة المسلمين من هذا العلم من الاحاديث المسندة اليها ومن الرواة الذين اخذوا العلم عنها (٢٦) وغالباً ما كانت تلجأ اليها النسوة لايضاح ماأبهم وكانت (رض) الى جانب المامها بالقرآن والحديث والفقه وبالعربية شعراً ونقداً وبأحوال العرب اصبحت من المراجع المعتمدة للحياة الفكرية بحيث كانت المفسرة لكثير من الآيات القرآنية ومن اشهرها قولها (رض) في قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) انها من صفات الرسول (ص)

---

(٢٣) المفاضلة بين الصحابة/ تحقيق سعيد الأفغاني / ٢٤٩

(٢٤) ابن الجوزي / صفة الصفوه ٢/ ١٩٠٦/ الهن/ ١٣٥٥ ﻫ

(٢٥) سورة الأحزاب: آية ٦

(٢٦) إبن حزم/ جوامع السير وخمس وسائل اخرى/ ٢٧٦

فقالت (رض) كان خلقه القرآن (٢٧) . ونظراً لمكانة القرآن الكريم لانه كلام الله المنزل وهو دستور الاسلام ، فقد كان دور ام المؤمنين عائشة (رض) واضحاً وكبيراً في حفظه بحيث كانت تقرأه ولكن لم تشر المصادر التاريخية الاولى بأنها كانت تعرف الكتابة (٢٨) .

ثالثا : علمها في اسباب النزول :

لايمكن معرفة تفسير الآية القرآنية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها وعلم اسباب النزول ومعرفة المكي منها والمدني من اشرف علوم القرآن – علم نزوله – وجهاته وترتيب مانزل بمكة وحكمه ومدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي ... ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب (٢٩) وكان للسيدة عائشة (رض) باع طويل في هذا المجال فقد كانت على احاطة تامة بأغلب الاحكام ، الى جانب معرفتها الواسعة واطلاعها في هذا الجانب ولقد احاطت بعلم اسباب النزول حتى انها تعرف مواقيت نزول الآيات ، أكانت ليلاً ام نهاراً بحيث اصبحت المرجع للمسلمين وروت عن مواعيد نزول الآيات عندما سئلت عن بعضها فكانت عندها الاجابة الصحيحة ، ولما سئلت يوماً عن نزول آية ،(انك لاتهدي من احببت.. الخ في الآية) قالت انها نزلت ليلاً على رسول الله (ص) ولما سئلت عن اول من نزل من القرآن الكريم ؟ اجابت (رض) (اقرأ باسم ربك (٣٠) وهكذا يبدوا واضحاً دورها (رض) في الدعوة الاسلامية ، بحيث تناولت مختلف الوقائع المهمة من تاريخها ابتداء من صفات الرسول (ص) وعاداته واخلاقه وانتهاء بالاحداث المهمة الدقيقة ومنها قولها (رض) عندما سئلت لماذا سمى الرسول (ص) اباها ابا بكر (رض) بالصديق ، قالت

---

(٢٧) نوال عباس/ دور المرأة العربية في الحركة الفكرية/ رسالة ماجستير ص٢١ بغداد ١٩٨٧

(٢٨) نفسه / ٧٠

(٢٩) السيوطي / الاتقان في علوم القرآن ج١: ص٨ وص٢٨

(٣٠) سورة العلق: اية ١

لما اسرى بالنبي (ص) الى المسجد الاقصى اصبح في مكة يحكي ماكان من اسرائه ومعراجه (ص) فارتد بعض الناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك الى ابي بكر (رض) يستفسرون عما سمعوا قائلين له ؟ (هل لك في صاحبك) ؟ قال نعم ، قال (لئن قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه انه ذهب الليل الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال نعم ، واني اصدقه بما هو ابعد من ذلك ، اصدقه بخبر السماء في غدوه او رواحه ، فلذلك سمي ابو بكر الصديق (٣١) وهكذا هو اول من صدقه بخبر الاسراء والمعراج وهناك الكثير مما قالت ام المؤمنين عائشة (رض) وما فسرت ماغمض على المسلمين وروت عن النبي وروى عنها عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة والتابعين امثال عروة وعبدالله ابناء الزبير بن العوام ، اولاد اختها هذا فأن اختلف فيما بينهم بالمرجع تكون هي (رض) لما تميزت به من فطنة وصفاء ذهن وحب واهتمام بالاسلام والمسلمين ولما تأسست خلافة الدولة الاموية في الشام كان مؤسسها معاوية بن ابي سفيان يزور الحجاز سنوياً اما حاجاً او معتمراً ولكنه كان لابد من أن يزور أم المؤمنين (رض) ويسأل عما تحتاج وكذلك كان يستشرف اراها ويأخذ بنصائحها ويؤمن حاجاتها ويسعى لكسب رضاها وبقيت على هذا الحال الى أن توفاها الله (رض) في خلافته سنة ٥٧ من الهجرة وقيل ٥٨ من الهجرة ودفنت في البقيع حسب توصيتها ودخل في قبرها عبدالله وعروة ابناء الزبير بن العوام وعبدالله وعبد الرحمن اخويها (٣٢)

---

(٣١) السيوطي/ الخصائص الكبرى/ حـ١/ ٤٣٦- ٧

(٣٢) ابن الأثير / اسد الغابة/ ٧: ١٩٢

المحور الثاني : نساء خالدات في التاريخ

اولا : — أسماء بنت ابي بكر الصديق « ذات النطاقين»

لقد مرينا في بداية الكلام عن ام المؤمنين عائشة (رض) بانها وفي السنوات الاخيرة للرسول (ص) وهو في مكة برزت سيدة لخدمة الاسلام والمسلمين متمثلة في شخصية رسول الله (ص) وابي بمر (رض) تلك هي الاخت الأكبر لام المؤمنين (رض) من ابيها. اسماء الذي لقبها الرسول (ص) بذات النطاقين وامها ، قيلة ،وقيل قتيلة بنت عبد العزي بن عبد اسعد بن جابر بن مالك بن خسك بن عامر بن لؤي، زوج الزبير بن العوام اخو خديجة (رض) وام الزبير هي صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول (ص) (٣٣) ولدت قبـــل التاريخ بسبع وعشرين سنة (٣٤) بينما يذكر الامام ابن كثير انها اسن من اختها أم المؤمنين (رض) بعشرة سنين (٣٥) وهنا أذا رجعنا الى سنة مولــد أم المؤمنين (رض) في سنة ٦١٤م فيكون مولد السيدة ذات النطاقين سنة٦٠٤م. اسلمت اسماء ذات النطاقين قديماً في مكة حتى انها كانت تمثل الرقم السابع عشر (٣٦) من الاوائل المسلمين في مكة والى لقب ذات النطاقين قصة ترويها اسماء نفسها : — تقول :(سماني رسول الله (ص) كذلك حين بشرني بالجنة وكان ذلك عندما هاجر (ص) مع ابي واحتجت أن اشد به السفره ولم اجد ما اشد به تلك السفره فشققت نطاقي الى نصفين فشددت بالنصف الاول سفر الرسول (ص) وتمنطقت بالنصف الثاني الذي لابد من تمنطقي شاءني بذلك

---

(٣٣) الزبيدي/ نسب قريش/ ٢٧٥، ابن سعد: الطبقات الكبير/ ٨:١٨٣

(٣٤) يقصد بالتاريخ هنا/ تأريخ مهاجرة الرسول من مكة الى المدينة/ ابن الأثير أسد الغـابة ج ٧ ص٩

(٣٥) البداية والنهاية/ ٨: ٣٤٦

(٣٦) ابن حجر اصابة: ٤ : ٢٢٩

شأن ذلك الزمان ،فسماني رسول الله (ص) بذات النطاقين في الجنة (٣٧) ومن يومها ذهبت هذه الكنية وعرفت بذات النطاقين وكان ابوها ابي بكر وجدها ابو عتيق وابنها عبد الله وزوجهـا الزبيـر صحـابييـن (رض) وكانت اسماء واختها عائشة من المهاجرات ولما هاجرت الى المدينة كانت حاملا بأبنها عبدالله الذي كان اول مولود ذكر للاسلام بعد الهجرة الـى المدينة .

شهدت أسماء معركة اليرموك مع ولدها وزوجها وهي والدة عروه والمنذر وعاصم اضافة الى عبدالله.

من تصفح سيرة حياة هذه السيدة العظيمة التي بشرها الرسول بنطاقيـن في الجنة ،يجد تفاصيل توضح ثباتها على المبدأ والعقيدة في الرواية التي ذكرها الطبري ، مايحقق هذا القول ،والرواية دارت احداثها في مكة اثناء حصارها الثاني سنة ٧٣هـ (انه ،في صبيحة الثلاثاء المصادف سبع عشرة من جمـادى الاول سنة ٧٣ هـ، وبينما كان عبدالله بن الزبير يسمع أذان الفجـر وهـو محاصر في مكة بعد اكثر من سبعة اشهر ،دخل على أمه بعد أن أدى صلاة الفجر، وكانت سيدة ، قد اتعبتها الحياة وكان الناس قد خذلوه وحتى بعض أولاده تفرقوا عنه، فقال الولد مخاطباً امه بعد أن قبل يديها ،ياأماه قد خذلني الناس حتى ولدي واهلي . فلم يبقى معي الا اليسيـر ممـن ليس عـنده من الدفع اكثر من ساعة ،والقوم يعطونني مااردت من الدنيا، فما رأيك ؟ قالت له السيدة .انت والله يابني اعلم بنفسك، أن كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فأمض له ،فقد قتل عليه اصحابك ،وأن كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنـت . فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل الدين ، وكم خلودك في الدنيا ، فدنا منها ولدها وقبل رأسها وقال لها ؟هذا والله رأيي. ثم خرج وقتل ولم تمكث من بعده الا خمسة ايام وتوفاها الله (٣٨) روت عن النبي

(٣٧) نفسه / السفرة/ طعام المسافر
(٣٨) الطبري/ تأريخ / ٦: ١٨٨- ٩

(ص) ثمانية وخمسون حديثاً.وروى عنها عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعروة وعباد بن الزبير وابو بكر وعامر ابناء عبد الله بن الزبير ،احفادها وغيرهم .

وعمرت السيدة اسماء لغاية المائة عام وكانت اخر المهاجرات موتاً وبعد أن أدركت مقتل ابنها عبد الله (٣٩) .

ثانيا : حفصة بنت عمر ام المؤمنين (رض) .

أبوها عمر بن الخطاب (رض)بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله إبن قرط بن زراح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي(٤٠). وامها ، زينب بنت مظعون (٤١) بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ولدت قبل المبعث بخمس سنين القوامة «الصوامة» وارثة الصحيفة الجامعة لكتاب الله ومن دلائل زرعها كونها ثقة ، كان عمر (رض) بعد أن أودعه ابو بكر (رض) صحائف القرآن قد امنها هي عليها ، وعندما طلبها عثمان إبن عفان (رض) في خلافته حتى يوحد القرآن الكريم لعموم الامصار العربية الاسلامية رجع اليها ولكنها ما نعت في بداية الامر من تسليمه الصحائف الا بعد أن حلف لها واثقل الحلف ليردنها اليها حال الانتهاء من هذا العمل الجبار وهو جمع القرآن وتوحيده التي كانت من جملة اعمال الخليفة الراشد (رض) العظيمة تجاه الاسلام والمسلمين — فأعطته اياه فعرض بعدئذ المصحف عليها . وحفصة (رض) كانت من تلك القلائل العارفات بالقراءة والكتابة في عصرها (٤٢) ولما اسلم والدها عمر بن الخطاب (رض) تعزز الاسلام حتى وأنه ولاول مرة صعد المؤذن لينادي للصلاة من على سطح الدار بعد أن كان يؤذن لينادي للصلاة من داخل الدار وكان (رض) مساعداً شأنه

(٣٩) ابن حزم/ جوامع السير/ ٢٧٩

(٤٠) ابن حجر/ اصابة/ ٢: ٥١٨

(٤١) ابن حجر/ اصابة: ٢: ٥١٨

(٤٢) البلاذري / فتوح/ ٤٥٨

شأن ابي بكر (رض) للرسول (ص) ولقوته وشدته كان يردد الرسول (ص) دوماً «اللهم عزز الاسلام بأحد العمرين» ويقصده هو من بين العمرين ولقبه الرسول (ص) بالفاروق ، واصبح من يومها يدعى بهذا اللقب . ابنته حفصة كانت زوجة لاحد القادة الذين توفوا بعد معركة بدر ، وكالعادة كان والدها يريد تزويجها . فعرضها على عثمان بن عفان (رض) بعد وفاة زوجتـــه ابنة الرسول (ص) الاولى، الا أن عثمان رفض العرض . فذهب عمر (رض) الى الرسول (ص) يشكو عثمان (رض) الا أن الرسول (ص) اجابه ياعمر سوف تكون اب لاحسن من عثمان وسوف يكون عثمان اب احسن منك وهكذا تزوج الرسول من حفصة وتزوج عثمان (رض)من ابنة الرسول (ص) وكان ذلك من السنة الثالثة من الهجرة ما يقارب الشهر من معركة احد (٤٤) وخلدها التاريخ فضلا عن كونها ام المؤمنين الا أنها كانت السبب في عدم ضياع القرآن الكريم وبسبب احتفاضها بالنسخة الاصلية لمجموعة القرآن الكريم والتي قدمته الى الخليفة الراشد الثالث (رض) الذي قام بدوره بتشكيل لجنة لحفظه واقامة المصحف على النسخ الاصلية هذه وبذا توجت اعماله العظيمة بحفظ القرآن . وقد بلغت الاحاديث التي روتها حفصة ام المؤمنين عن الرسول (ص) ستين حديثاً (٤٥) روى عنها عبدالله بن عمر اخوها (حبر الاسلام) وحارثة بن وهب وعبدالله بن صفوان وعبدالله بن نافع وغيرهم. وتوفيت هذه المرأة العظيمة في جمادي الاول سنة احدى واربعين وقيل سنة خمس واربعين (٤٦) في خلافة معاوية بن ابي سفيان .

ثالثا: ــ السيدة صفية بنت عبد المطلب .

ومن النساء اللاتي خلدهن التاريخ بمداد من الذهب لمواقفهن الجليلة في

(٤٣) ابن حجر/ اصابة/ ٢/:٥١٨
(٤٤) ابن حجر / اصابة/ ٤ : ٥٧٣
(٤٥) ابن حزم/ جوامع السير/ ٢٧٩
(٤٦) ابن سعد/ طبقات/ ٨ :٦. ابن حجر/ اصابة/ ٤ :٢٧٤

سبيل اعلاء كلمة الحق والمبادىء والقيم العربية الاصيلة نشاءن اول سني حياتهن في عصر ما قبل الاسلام ولما أدركنه اسلمن واحسن اسلامهن وجاهدن في سبيله ومن بينهن : —

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية عمة رسول الله (ص) وشقيقه حمزة والمقوم وحجل بني عبد المطلب وامهم : هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة (٤٧) ولم يختلف في اسلامها من عمات النبّي (ص) ويذهب ابن الاثير ويقول « والصحيح أنه لم يسلم غيرها من عمات النبي» (٤٨) .

كان زوجها قبل الاسلام الحارث بن حرب بن امية بن عبد شمس اخو أبو سفيان بن حرب ، فمات عنها وتزوجها العوام بن خويلد اخو السيدة خديجة بنت خويلد ام المؤمنين (رض) فولدت له الزبير (حواري رسول الله) اشتركت في معركة احد واسهمت مع النسوة في غمار المعركة ولما استشهد الحمزة وجدت عليه وجداً شديداً ولكنها صبرت صبراً عظيماً الا أنها أرادت أن تذهب لترى شقيقها رآها الرسول (ص) وهي ماشية صوب المكان الذي كان به حمزة فأمر (ص) الزبير ان يعترض طريقها حرصاً عليها لما سوف ترى ما حل بشقيقها فقابلها الزبير قائلا « أي امه ان رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعي قالت ولم، فقد بلغني أنه مثل بأخي وذاك في الله ، فما ارضانا بما كان من ذلك ، لاصبرن ولاحتبسن ان شاء الله فلما جاء الزبير الى الرسول (ص) واخبره قولها قال (ص) : خل سبيلها: فأتت اخاها ونظرت اليه واسترجعت (٤٩) واستغفرت له ، ثم امر به رسول الله (ص) فلدفن (٥٠)

(٤٧) الزبيدي/ نسب ١: ١٧

(٤٨) اسد الغابة/ ٧: ١٧٢

(٤٩) استرجعت / اي قالت «انا لله وانا اليه راجعون»

(٥٠) ابن الأثير / اسد الغابة/ ١٧٢

وبلغت هذه السيدة من الشجاعة والاقدام بحيث كانت اول سيدة قتلت رجلا من المشركين والرواية التالية . كما جاءت في أبن الاثير عن ابو هشام توضح ذلك الحدث «أنه في يوم الخندق كانت صفية في حصن حسان بن ثابت ، مر بهم رجل يهودي فجعل يطوف بالحصن وكان بنو قريضة قد حاربو الرسول وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ورسول الله (ص)والمسلمون تي غمور عددهم لايستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم أن اتانا آت . قالت: ياحسان أن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى ، ولا أمنة أن يدل على عوراتنا من ورائنا من يهود، فأنزل اليه فأقتله ، فقال ، يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب (والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا).. قالت صفيه: فما قال ذلك.ولم ار عنده شيئاً، احتجزت(٥١) واخذت عموداً ونزلت من الحصن اليه . فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت الى الحصن (٥٢).

رابعاً: — السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية :

المعروفة بالخنساء الشاعرة ، فقد قدمت على رسول الله (ص) واسلمت وحسن اسلامها فذكروا ان رسول الله(ص) كان يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشده ويقول (ص)هيه ياخناس .وفيها قال الشاعر دريد بن الصمة:

حيو تماضر واربعوا صحبي وقفوا فأن وقوفكم حسبي (٥٤)

بلغت بها الشجاعة والنخوة وقوة الايمان، انها شاركت مع اربعة اولادها حرب العراق في القادسية الاولى ضد الفرس وقد استشهد اولادها الاربعة في تلك المعركة العظيمة ، فلما وصلها خبرهم رفعت رأسها الى السماء وقالت «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم» فكانت ترى وهي السيدة العاقلة التي أدركت ومنذ

(٥١) اي شددت وسطي
(٥٢) ابن الأثير / اسد الغابة/ ٧: ١٧٣- ٤
(٥٣) ابن حزم / جمهرة/ ٢٦١
(٥٤) ابن قتيبة/ الشعر والشعراء/ ٣٤٣

ذلك الحين أن عدالة القضية العربية ضد الفرس الحاقدين لاتكون الا بأيمان الفرد بالحسنيين : اما النصر او الشهادة : فكلاهما نصر للمؤمن العربي ضد هذا العدو الحاقد فهو اما (أي العربي) يموت في سبيل قضيته فمثواه الجنة او ينتصر وعند هذا الانتصار سيكون انتصار الحق على الباطل وهو كذلك ثوابه الجنة . ولما استشهد اخوها لابيها صخراً وكان احب الى نفسها لمواصفاته العربية الاصيلة في كونه حليماً جواداً ، ومحبوباً في العشيرة ،أجادت في قولها الشعر فيه ولها اجمع اهل العلم بالشعر ، انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها (٥٥) .

الخاتمة : ــ

وما اعظم التاريخ في استذكار حضور المرأة في الحياة العربية الاسلامية حيث كانت هي اول شهيدة في سبيل الثبات على اعلاء كلمة الحق وهي ــ أي المرأة ــ التي جازت تأييداً وولاء صميمياً من نبي الله (ص) لامتيازها بصفات وخصائص اهلتها للمساهمة في تحقيق النجاح والسعادة لحياته (ص) ولرسالته السماوية الانسانية .

والله من وراء القصد.

---

(٥٥) ابن الأثير اسد الغابة/٧ : ٨٩

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – الحديث

٣ – البرقوقي /عبد الرحمن /دولة النساء /القاهرة بلا

٤ – ابن حجر /شهاب الدين ابو الفضل / تهذيب التهذيب/هند ١٣٢٧ هـ

٥ – = والاصابة في تمييز الصحابة مصر ١٣٢٨هـ

٦ – ابن حزم /جمهرة انساب العرب/ بيروت ١٤٠٣هـ

٧ – = = /جوامع السير وخمس رسائل / مصر /بلا

٨ – ابن حنبل /مسند بن حنبل/ شرحه احمد محمد شاكر/مصر ١٣٧٨هـ

٩ – ابن عبد البر/ الاستيعاب في معرفة الاصحاب / القاهرة /بلا

١٠ – ابن كثير/ عماد الدين ابو الفداء /البداية والنهاية /المعارف ١٩٧٨م

١١ – البلاذري/ ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر / انساب الاشراف القدس ١٩٣٦م

١٢ – = = = = /فتوح البلدان / بيروت بلا

١٣ – الزبير /ابو عبدالله المصعب بن عبدالله / كتاب نسب قريش / مصر ١٩٧٦م

١٤ – الطبري /ابو جعفر محمد بن جرير /تاريخ الرسل والملوك /القاهرة ١٩٦٤م.

١٥ – ابن قتيبة / ابو محمد عبدالله بن مسلم الشعر والشعراء /القاهرة ١٩٦٤

١٦ – ابن سعد/ محمد كاتب الواقدي/ الطبقات الكبرى / لبرن ١٣٢٣هـ

١٧ – ابن الاثير /عز الدين ابو الحسن علي بن ابي مكرم /اسد الغابة في معرفه الصحابة /مصر ١٢٨٠هـ

١٨ – السيوطي /جلال الدين عبد الرحمن /الاتقان في علوم القرآن /مصر ١٩٥١م

١٩ – صفة الصفوة /تحقيق محمود فاخور /بيروت / ١٣٩٥هـ

٢٠ – نوال عباس حسين /دور المرأة العربية في الحركة الفكرية /رسالة ماجستير على الالة الكاتبة /بغداد /١٩٨٧ م

٢١ – القيسي /نوري حمودي /الفروسية في الشعر الجاهلي /بغداد ١٩٦٤م



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مركز إحياء التراث العلمي العربي

دور المرأة العربية في الحركة العلمية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد
مركز احياء التراث العلمي العربي

دور المـــرأة العربية فـــي الحركة العلميـــة

مجموعة بحوث قدمت الى ((ندوة دور المرأة العربية في الحركـــة العلمية)) التي اقامها مركز أحياء التراث العلمي العربي بالتعاون مع الأتحاد العام لنساء العراق عام ١٩٨٨

م/١/د.م

الفهرس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية
ببغداد (١١٩٢) لسنة ١٩٨٩

طبع بمطبعة

((((التعليم العالي بالموصل))))

